

إدراك النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية

في ضوء المناهج الحديثة للعلوم الإنسانية

إعداد : أ. مراد بن حرزالله

جامعة محمد بوضياف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجا ، قيما ، و الحمد لله الذي حفظ كتابه فلم يأت به الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

و الصلاة و السلام على من أتى بهذا الدين القويم ، وبلغ رسالة ربه البلاغ المبين ، فما ترك خيرا إلا دل الأمة عليه ، ولا شرا إلا حذر الأمة منه ، و ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

أما بعد :

إن خير ما صُرِفَ له الجهد ، واشتغل به العلماء تعليما وتفسيرا وتفهما ودراسة واستنباطا كتاب الله الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فهو كتاب هداية ودستور أمة هي خير أمة أخرجت للناس ، كما أنه حجة الله البالغة على دينه الحق ، و "من المعلوم أن كتاب الله تعالى تتفاوت دلالة آياته على المعاني وضوحا وخفاء ، ولو كانت آياته تتساوى في إدراكها الأفهام لخدمت الهمم وركدت الأفهام ، ويشملها الجهل لعدم وجود ما يحملها على الغوص والتفكير العميق ، ولكن الله - جلَّت حكمته - جعل كتابه الكريم بحيث تختلف الأفهام والقرائح في إدراك أسرارها واجتلاء معانيه".¹

و لقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم مصدر التفسير ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتناقضونه عليه ، قال الله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.² وقال تعالى ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.³ فهتان الآيتان ، من بين آيات عديدة ، يشيران إلى أن السنة الشريفة شارحة ومفسرة للقرآن الكريم ، فالله تعالى قد فوض رسوله صلى الله عليه وسلم في بيان القرآن الكريم للناس ، وذلك بنص الآيتين السابقتين ، ومن هنا نستطيع القول ، بأن علاقة القرآن الكريم بالسنة

¹ خالد عبد الرحمن العك : أصول التفسير وقواعده ، دار النفائس ، ط2 ، بيروت ، 1406هـ=1986م ، صص 11-12.

² سورة النحل ، الآية 44.

³ سورة النحل ، الآية 64.

النبوية هي علاقة البيان، أي أن السنة الشريفة تبين للناس ما جاء في القرآن الكريم ، تلك العلاقة التي تعتبر الأساس المتين و المرجع الأمين الذي يقوم عليه دين الله رب العالمين ، و تتجلى صورها بشكل أبرز من خلال قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة نبيه " ⁴ فلا بقاء للإسلام إلا بفهم القرآن و السنة الشريفة فهما صحيحا.

و لقد تناقل الصحابة تفسير القرآن ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تناقلهما التابعون عن الصحابة بحيث يروي بعضهم عن بعض ، و عرفت هذه المرحلة بمرحلة الرواية ، واستمرت هذه المرحلة حتى ظهر عهد التدوين في أواخر عهد بني أمية و أول عهد العباسيين . و لقد تميز عهد العباسيين بدخول تيارات فكرية جديدة اجتماعية نتيجة الاختلاط الحضاري الذي ولد صراع بين العقل والنقل، التجديد والتقليد، مما أدى إلى توسع دائرة المعارف العقلية والفلسفية والعلمية حول كثير من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية ، و أضفى كل ما سبق إلى محاولة بناء العقائد الإسلامية التي وردت في القرآن و السنة النبوية على مرتكزات عقلية وفلسفية ومنطقية فظهرت المدارس الكلامية المتنوعة كالمعتزلة و الأشاعرة ، وأسفرت هذه العوامل على ظهور تفاسير مسيطرة لهذه الحقبة التاريخية. وقد ظهرت انتقادات على هذا النوع من التفسير لمخالفته الصحيح المنقول عن الرسول صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان. وكذا مخالفته للمنطق اللغوي في أساليب الأداء العربي.

و لقد ظهر في أيامنا هذه من راح ينادي بضرورة توظيف مناهج العلوم لإنسانية في تفسير و فهم النصوص الدينية و خاصة القرآن الكريم ، باعتبار أن هذه المناهج تتميز بالدقة و الموضوعية ، فظهر العديد من الكتاب و الباحثين و المفكرين في العالم الإسلامي الذين حاولوا توظيف هذه المناهج وتقديم تفاسير مغايرة للتفاسير السابقة ، و في نفس الوقت فإنه قد ظهر تيار معارض كرد فعل لتيار هؤلاء المفكرين يمثل من يطلقون على أنفسهم حماة القرآن و السنة من محرفي كتاب الله و سنة نبيه الكريم .

سنحاول تناول هذا الموضوع من خلال محاولة الإجابة على التساؤل الرئيس لهذه الورقة و الذي مفاده : هل أن إدخال مناهج العلوم الإنسانية لتفسير وفهم و إدراك النص الديني ضرورة حتمية لكي نفهم كتاب الله و سنة نبيه بشكل جيد يكون متوافقا مع الحداثة الكونية ، أم أنه لا يجوز أنسنه النص الديني ، و معاملته كباقى النصوص البشرية ؟ و لقد تناولنا هذه الورقة من خلال عرض الخلفية التاريخية لظهور مناهج جديد لإدراك النصوص الدينية ، ثم أشرنا للحاجة للتجديد في مناهج التفسير ، لنلج بعد ذلك لتسليط الضوء على آراء كل من المؤيدين و المعارضين ، خاتمين هذه الورقة بعرض رأي وسط ينبذ الغلو و التشدد في حظر تبني مناهج العلوم الإنسانية ، كما ينبذ في الوقت ذاته عدم الرجوع للأصول ، و التقيد بالنصوص أثناء استخدام تلك المناهج.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يسدد الخطى، ويحقق الرجاء ، إنه سميع مجيب، وهو حسبي ونعم الوكيل.

⁴ الموطأ للإمام مالك، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر (480/2)، ح(2618).

الخلفية التاريخية لظهور مناهج جديدة لإدراك النصوص الدينية :

كان منهج الصحابة رضي الله عنهم التلقي للتنفيذ فلقد كانوا يتلقون لينفذوا بعد أن تدبروا ففهموا فأمنوا و صدقوا ، و تلى هذا المنهج منهج الدراسة ، و يقول فهد عبد الرحمان بن سليمان الرومي " لكي ندرك الفرق بين المنهجين ننظر إلى جيل كل منهج فمنهج التلقي للتنفيذ هو الذي صنع الجيل الأول ثم تخلق الناس على هذا المنهج شيئاً فشيئاً إلى منهج التلقي للدراسة و البحث و الثقافة فنقصت الأفضلية شيئاً فشيئاً ، مصداق ذلك الميزان النبوي الدقيق في قوله عليه السلام : " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " ⁵ .

أما منهج المدرسة العقلية الحديثة في تفسير القرآن الكريم فإنها تبدأ بالسيد جمال الدين الأفغاني الذي بث أفكاره إلى تلميذه محمد عبده الذي استلم زمامها من بعده ووسع بحوثها و من ثم استلمها تلاميذه فنشروها بين الناس حتى سادت في الأذهان و رسخت بين العلماء . و من بين الفرق التي اعتمدت في إدراكها للنصوص الدينية ، و بالأخص القرآن ، على منهج عقلي بدلا من التفسير بالمأثور فرقة المعتزلة التي كان التفسير بالرأي كان منهجها و العقل سلطانها و أعطت العقل أكثر من طاقته و حكمته تحكيما مطلقا [...] بل كانت مرتبة العقل عندهم سابقة للكتاب و السنة [...] يقول مفسرهم الزمخشري " امش في دينك تحت راية السلطان فلا تقنع بالرواية عن فلان و فلان. ⁶ و تعتبر فرقة المعتزلة أول فرقة تعطي العقل المنزلة التي لم يعطها له الشرع حتى صار لها منهج عقلي مستقل في فهم و إدراك النص القرآني ، أما من رواد هذا الاتجاه في العصر الحديث يقول أنور وجدي " إذا كان جمال الدين الأفغاني هو أول من فتح باب المنطق و الفلسفة في الفكر العربي الحديث بحسبانه طريقا للدفاع عن الإسلام في مواجهة الفلسفات الحديثة على نفس المنهج الذي اتخذه المعتزلة ، فإن محمد عبده هو الذي عمق هذا الاتجاه حتى أطلق عليهما اسم معتزلة العصر الحديث " ⁷ . و يقول طاهر محمود محمد يعقوب تفاسير المعتزلة القدامى و تأويلات العقلانيين الجدد يغلب عليه الطابع العقلي ، و المنهج الكلامي ، و المسلك الجدلي ، و لا ترى النصوص النبوية فيها إلا أنها شيء ثانوي و أمر هامشي نادرا ما يلجؤون إليه و ذلك عندما لا يصطدم بمنهجهم. ⁸

الحاجة للتجديد في مناهج التفسير :

قبل الإشارة للحاجة لتجديد مناهج التفسير نرى أنه من الضروري في البداية الإشارة إلى ماهية المنهج يقول محمد ركان المنهج هو علم التفكير . و هو طريق كسب المعرفة ، أو هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسة المشكلة لاكتشاف

⁵ فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي : منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، ج 1 ، ط 2 ، الرياض ، السعودية ، 1403=1983 ، ص 15.

⁶ نفس المرجع ، ص ص 28-29.

⁷ نفس المرجع ، ص 29.

⁸ طاهر محمود محمد يعقوب : أسباب الخطأ في التفسير - دراسة تأصيلية ، ج 1 ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، 1425 ، ص 17.

الحقيقة ، أو هو الخطوات المنظمة التي يتبعها الباحث في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها.⁹ و جدير بالتنويه أنه يطرح بحده في الأوساط الأكاديمية العالمية إشكال موضوعية المناهج المعتمدة في دراسة الظاهرة الإنسانية باعتبار أن هذه الأخيرة ظاهرة معقدة ومتغيرة ومتعددة الأبعاد بحيث تتداخل فيها الذات مع الموضوع ، و هذا ما يفسر تحامل المستشرقين على كتاب الله و سنة نبيه . فبعض العلماء الذين انبهروا بالنتائج التي حققتها العلوم الطبيعية، يميلون إلى تطبيق مناهجها على الظواهر الإنسانية، في حين أن علماء آخرين حاولوا ابتكار مناهج تلائم الظاهرة الإنسانية، وتختلف عن المناهج المعتمدة في علوم الطبيعة. فالفرق الأول، متمثلاً في النزعة الوضعية أساساً، حاول تطبيق منهج التفسير الموضوعي المستلهم من العلوم التجريبية، بينما اعترض الفريق الثاني على إمكانية تطبيق منهج التفسير على الظاهرة الإنسانية واقترح منهاجاً آخرًا يناسب خصوصيتها هو منهج الفهم ، و هو منهج أيضاً مطعون في مصداقيته من طرف الوضعيين .

أما فيما يتعلق بالحاجة للتجديد في مناهج التفسير يقول محمد رشيد رضا ، في مقدمة المنار ، "ويمكن أن يقول بعض أهل هذا العصر : لا حاجة إلى التفسير والتأني في القرآن ؛ لأنّ الأئمة السابقين نظروا في الكتاب والسنة واستنبطوا الأحكام منهما ، فما علينا إلّا أن ننظر في كتبهم ونستغني بهم - هكذا زعم بعضهم ، ولو صحّ هذا الزعم لكان طلب التفسير عبثاً ، يضيع به الوقت سدى وهو - على ما فيه من تعظيم شأن الفقه - مخالفٌ لإجماع الأمة من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى آخر واحدٍ من المؤمنين ، ولا أدري كيف يخطر هذا على بال مسلمٍ؟"¹⁰.

و لقد تعددت مناهج المفسرين وتنوعت بتعدد ثقافتهم ومذاهبهم وتنوعها ، حتى إن لكل مفسر منهاجاً خاصاً به يعكس توجهه العلمي وانتماءه العقدي أو المذهبي ، و رغم أنه قد ساد التقليد و غاب الاجتهاد خلال عصور الانحطاط ، فإنه قد ظهر مفكرون و دعاة في بداية القرن العشرين ينادون بأن يستند في إدراك النصوص الدينية (القرآن والسنة) لفهم السليم لها وذلك بتحرير ألفاظها وتنقية تفاسيرها مما علق بها من بدع وإسرائيليات واستطرادات نحوية أو كلامية وغيرها ، و لعل أبرز المنادين بالحاجة لتجديد مناهج التفسير هم رواد الإصلاح في العالم العربي و الإسلامي الشيوخ : جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و رشيد رضا ففي إطار دعوتهم لإصلاح الأمة الإسلامية يرون ضرورة تجديد مناهج إدراك و فهم النصوص الدينية ، وفي هذا السياق يقول الأفغاني " القرآن وحده سبب الهداية والعمدة في الدعاية وما تراكم عليه وتجمع حوله من آراء الرجال واستنباطاتهم ونظرياتهم ينبغي ألا نعول عليه كوشي وإنما نستأنس به كراي[...]" ولا نحمله على أكفنا مع القرآن في الدعوة إليه وإرشاد الأمم إلى تعليمه وتفسيره وإضاعة الوقت فيه"¹¹.

المنادون بتطبيق مناهج العلوم الإنسانية لتفسير النصوص الدينية :

كما سبق و أن رأينا فإن القرآن هو أعظم نص ديني عند المسلمين يقول ابن عاشور "لقد حفلت الأمة الإسلامية بالقرآن الكريم واحتفت به احتفاءً جليلاً ، لقد تعهدته بالحفظ ، بكل وسائل الحفظ - قراءةً وكتابةً وفهماً واستنباطاً ثم

⁹ محمد راكان الدغمي : أساليب البحث العلمي و مصادر الدراسات الإسلامية ، مكتبة الرسالة ، ط2 ، الأردن ، عمان ، 1997

¹⁰ محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، دار المنار ، ط2 ، القاهرة ، 1366هـ=1947م ، ص19.

¹¹ محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1973 ، ص 102 .

تفسيرًا ، ولقد أجهّد المفسرون أنفسهم في خدمة القرآن الكريم - أداءً للأمانة ، وتبليغًا للرسالة ، وقد قدّم كل مفسّر قصارى ما لديه من فنه - لقد بذل النحويون كل ما عندهم من دراية فيما يتعلّق بتفسير القرآن الكريم في هذا المجال ، وبذل علماء البلاغة ، وعلماء الفقه ، وعلماء التوحيد . . أقصى ما في وسعهم خدمةً للقرآن الكريم¹² .

إذن فلا غرابة أن يسعى مفكروا هذا العصر لبذل قصارى جهدهم لتفسير كتاب الله في ضوء ما توصلت إليه مناهج ما أصبحت تعرف بالعلوم الإنسانية و من بين أبرز المفكرين الذين سنتطرق لهم في هذه الورقة المفكر الجزائري محمد أركون Mohammed ARKOUN إلى جانب ثلة من أبرز الرواد في هذا المجال ، محاولين قدر الإمكان إبراز مدى انتشار هذه الظاهرة عبر مختلف دول العالم العربي و الإسلامي ، فمثلا سنتطرق في مصر لكل من أمين الخولي Amin Al-khuli ونصر حامد أبو زيد Nasr Hamid Abouzayd و من تونس لمحمد شرقي Mohamed CHARFI و من إيران سنتطرق لمحمد شحرور Mohammed CHAHROUR إلى جانب الإيراني عبد الكريم سولوش Abedl Karim SOROUSH .

و معظم هؤلاء المفكرون اتهموا بالكفر و الردة و التواطؤ مع المستشرقين لتحريف كتاب الله و سنة نبيه الكريم محمد عليه صلوات ربي و أزكى تسليم، فهل حقا اقترفوا ما يستوجب تكفيرهم ؟ و نظرا لأن المقام لا يسمح بطرح مفصل لرؤى و أفكار هؤلاء المفكرين سنحاول و بشكل مقتضب أن نقدم حججهم، علما أن تركيزنا سيكون عن حجية استخدام مناهج العلوم الإنسانية في فهم و تفسير و إدراك النصوص القرآنية.

محمد أركون : (1928- 2010) مفكر جزائري فرنسي ، من أشد المدافعين عن تطبيق مناهج العلوم الإنسانية لإدراك النصوص الدينية ، يقول ، في هذا السياق ، في مقدمة كتابه "القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني " لقد شرعت في تطبيق إشكاليات و مناهج اللسانيات و السيميائيات لتحليل الخطاب القرآني منذ أوائل السبعينات من القرن الماضي¹³ . و تعود بدايات انشغال أركون بتطبيق مناهج العلوم الإنسانية لإدراك مدلولات النص الديني لعام 1970 حيث نشر بحثه الأول بعنوان (كيف نقرأ القرآن) كمقدمة لترجمة كازيميرسكي للقرآن و لقد جمع البحوث التي صدرت بين عامي 1970 و 1982 في كتاب عنوانه قراءات في القرآن .

و يقول أركون أنه "على القارئ أن يحيط بالأرضية المفهومية الخاصة باللسانيات و السيميائيات الحديثة مع ما يصاحبها من أطر التفكير و النقد الإستمولوجي ، وثانيا أن يتدرب على التمييز بين الاحتجاج ، و الإدراك ، و التأويل ، و التفسير الذي يتم في الإطار المعرفي العقائدي الدوغمائي ، و بين التحليل و التفكير للخطاب الديني . فهذان شيئا مختلفان . فتحليل الخطاب الديني أو تفكيكه يتم لا لتقديم معانيه الصحيحة و إبطال التفاسير الموروثة ، بل لإبراز الصفات اللسانية اللغوية و آلات العرض و الاستقلال و الاقناع و التبليغ و المقاصد المعنوية الخاصة بما أسميته ، و القول

¹² عبد الحليم محمود : التفسير ورجاله لمحمد الفاضل بن عاشور، الكتاب 13 ، منشورات مجمع البحوث الإسلامية - السنة الثانية ، 1390هـ=1970م، القاهرة، صص 4 - 5.

¹³ محمد أركون : القرآن - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، ترجمة : هاشم صالح ، دار الطليعة ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، 2005 ، ص 5.

لأركون ، الخطاب النبوي le discours prophétique و كنت قد بينت في عدد من الدراسات السابقة أن مفهوم الخطاب النبوي يطلق على النصوص المجموعة في كتب العهد القديم و الأناجيل و القرآن ، كمفهوم يشير إلى البنية اللغوية و السيميائية للنصوص ، لا إلى تعريفات و تأويلات لاهوتية عقائدية . إن التعريف و التفهم اللغويين لا يلغيان التعريف و التفهم اللاهوتيين ، إلا أن التحليل اللغوي و السيميائي سابق منهجيا و إبستمولوجيا على التحليل و التأويل اللاهوتيين . و قد بينت أيضا أن تحليل الخطاب الديني يتبنى تساؤلات الأنثروبولوجيا الدينية و الثقافية و الاجتماعية للوصول إلى التعرف على المفاهيم و التصورات و طرق التأصيل للعقائد و المعاني التي تنبني عليها جميع الأديان المعروفة في تاريخ المجتمعات الإنسانية¹⁴.

أمين الخولي (1895-1966) أسس المدرسة البيانية التي تتبنى الاتجاه الأدبي في إدراك نصوص القرآن الكريم ، و يرى أمين الخولي أن القرآن كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم ، الذي أخلد العربية وحمى كيانها فصار فخرها وزينة تراثها ، ويرى الأستاذ الخولي أن (الاهتداء بالقرآن) مقصد جليل، إلا أنه ليس هو الغرض الأول من التفسير¹⁵ ، بل المقصد الأسبق والغرض الأبعد ، في نظره ، هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم ، هذا الغرض تنشعب عنه الأغراض المختلفة وتقوم عليه المقاصد المتعددة...¹⁶ و توضح الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، تلميذة الخولي ، هذه الفكرة وتعللها بقولها: " ما سبق أن قرره أستاذنا من أن الدراسة المنهجية لنص القرآن الكريم ، يجب أن تتقدم كل دراسة أخرى فيه ، لا لأنه كتاب العربية الأكبر فحسب ، ولكن . كذلك . لأن الذين يعنون بدراسة نواح أخرى فيه ، والتماس مقاصد بعينها منه ، لا يستطيعون أن يبلغوا من تلك المقاصد شيئا دون أن يفقهوا أسلوبه الفريد ويهتدوا إلى أسرار البيانية التي تعين على إدراك دلالاته ..."¹⁷

نصر حامد أبو زيد (1943-2010) مفكر مصري متخصص في الدراسات الإسلامية قسم اللغة العربية، من دعاة التجديد الديني تأسيسا على إعادة تحليل النصوص الدينية باستخدام المناهج العلمية الحديثة وفي ضوء سياقها الثقافي والاجتماعي والسياسي. في سياق تفريقه بين الدين و الفكر الديني يشير إلى أن الفكر الديني لا يكتسب من الدين قداسته و لا إطلاقه ، بحكم أنه مجرد اجتهادات بشرية لفهم النصوص الدينية و تأويلها ، و من هنا يشرع في نقد عدد من الأحكام التي تصدرها بعض المؤسسات أو الجهات من منطلق خطاب ديني يفرض تفسيره للنصوص منحرفا بها عن سياقها التاريخي و مضفيا عليها لباسا ميتافيزيقيا سرمديا . و نستشف ميل أبو زيد إلى استخدام مناهج العلوم الإنسانية بشكل واضح من قوله " النصوص الدينية لا تنفك عن النظام اللغوي العام للثقافة التي تنتمي إليها ، و هي مرتبطة بواقعها اللغوي و الثقافي ، فالنص القرآني مثلا نص لغوي لا تمنع طبيعته الإلهية أن يدرس و يحلل بمنهج بشري ، و إلا

¹⁴ نفس المرجع ، ص ص 5-6.

¹⁵ كما يرى ذلك أصحاب مدرسة المنار.

¹⁶ أمين الخولي : مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، 1995

ص 229 .

¹⁷ عائشة عبد الرحمن : التفسير البياني للقرآن الكريم ، ج 1 ، دار المعارف ، ط 1 ، القاهرة ، مصر ، 1982 ، ص 17.

تحول إلى نص مستغلق على فهم الإنسان العادي مقصد الوحي و غايته ¹⁸. إذن فأبو زيد يرى أن قداسة النص الديني لا تتعارض و دراسته بمناهج البشر ، و إلا أصبحت هذه النصوص صعبة الفهم و الإدراك بالنسبة للبشر العاديين . و منه فإنه يرى أنه لكي نفهم كتاب الله و سنة نبيه بشكل جيد يكون متوافقا مع الحداثة الكونية ، فإنه يجوز أنسنة النص الديني ، و معاملته كباقي النصوص البشرية

و للدلالة بشكل واضح لتوظيف نصر حامد أبو زيد لمناهج العلوم الإنسانية نشير مثلا لما جاء في مقدمة مؤلفه الموسوم بـ " النص ، السلطة ، الهيمنة - الفكر الديني بين إدارة المعرفة و إدارة الهيمنة " حيث أشار لتوظيفه لمنهج تحليل الخطاب الذي دافع عنه و يرى أنه جد مناسب لتحليل النص الديني و أشار أيضا لضرورة الإفادة مما توصلت إليه العلوم الإنسانية الحديثة و إن كان يشير إلى ضرورة عدم التقيد الحرفي بما جاءت به إذ يقول " إن إجراءات تحليل الخطاب تعتمد إلى حد كبير على طبيعة الخطاب موضوع التحليل [...] و المنهج هنا - في كليته - ينطلق من حقيقة أن قراءة التراث و قراءة النص الديني تتجلى في شكل خطابات تستوجب التحليل من أجل الكشف عن الدلالات الصريحة - و كذلك المضمرة - في الخطاب [...] و لا يتوقف منهج تحليل عند مستوى اكتشاف الدلالة اللغوية أو السردية و السياقية ، لأن بعض الخطابات توظف دلالات سيميولوجية تحتاج للتحليل و الكشف عن بنيتها . و لذلك يعتمد منهج تحليل الخطاب على الإفادة من السيميولوجيا و الهرمنيوطيقا بالإضافة إلى اعتماده على الألسنة و الأسلوبية و علم السرد . و لا يقوم هذا الاعتماد على توظيف حرفي لمقولات تلك العلوم و قواعدها المنهجية ، بقدر ما يحاول الانطلاق كذلك من قراءة معاصرة للإنجازات التراثية في علوم اللغة و البلاغة ، خاصة تلك الإنجازات ذات الطابع المتقدم ، و التي تطرح بدورا تسمح لنا بتأسيس إنجازات العلوم الحديثة تأسيسا ثقافيا عربيا". ¹⁹

و يقول محمود علي مكي في تعليقه على كتاب نقد الخطاب الديني لأبو زيد علينا ألا نفهم من مناقشته لأراء الفقهاء القدماء و الكتاب الدينيين المحدثين و محاكمة فكر أولئك و هؤلاء على أنه تعرض للدين ، و إنما هو ضرب من الاجتهادات الذي يؤجر صاحبه أجرا إذا أخطأ و يضاعف له إذا أصاب . ²⁰

أما محمود إسماعيل فقد وصفه في كتاب " قراءات نقدية في الفكر العربي المعاصر " بأنه من المفكرين الذين جمعوا بين الإحاطة بالتراث العربي الإسلامي وبين الفكر الغربي ومعرفتهما معرفة علمية أكاديمية، خصوصا في مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية. ²¹ و فيما يتعلق بتوظيف نصر محمد أبو زيد لمناهج العلوم الإنسانية لإدراك النصوص الدينية يقول محمد إسماعيل "لقد أفاد المؤلف ، الدكتور نصر ، من المناهج البنيوية والسيميائية وفقه اللغة وغيرها في تفكيك النصوص واستبار غور مضامينها اللغوية والأسلوبية ودلالاتها المعرفية، كما ركز على مباحث في الفلسفة والعقيدة واللغة،

¹⁸ نصر حامد أبو زيد : نقد الخطاب الديني ، سينا للنشر ، ط 2 ، القاهرة ، مصر ، 1994 ، ص 12.

¹⁹ نصر حامد أبو زيد : النص ، السلطة ، الحقيقة - الفكر الديني بين إدارة المعرفة و إدارة الهيمنة ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1995 ، ص 12

²⁰ نصر حامد أبو زيد : نقد الخطاب الديني ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 12-13 .

²¹ محمود إسماعيل ، قراءات نقدية في الفكر العربي المعاصر ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، 1998 ، ص 23.

واظهر طول باع في قراءة المصطلحات وكشف مضامينها معولا على تاريخية المصطلح والمفهوم في آن. كما لم يهمل مناهج القدماء من المفسرين والبلاغيين وعلماء الكلام وأفاد منها جميعها بعد دعمها بالمنهجيات الحديثة والمعاصرة".²²

عبد الكريم سروش : هو حسين حاج فرج دباغ (ولد 1945) ، والمعروف بعبد الكريم سروش ، مفكر إيراني، يوضح سروش في "بسط التجربة النبوية" أن رؤيته لعدم معصومية المعرفة الدينية تنطبق إلى حد ما أيضا على القرآن. فهو ينتمي، مع مفكرين من أمثال نصر حامد أبو زيد ومحمد أركون، إلى مجموعة صغيرة من الإصلاحيين الراديكاليين تدعو إلى مقارنة تاريخية للقرآن. إلا أن سروش في كتابه الجديد يخطو خطوة أبعد من كثير من زملائه الراديكاليين. فهو لا يدعي فقط أن القرآن نتاج للظروف التاريخية التي نشأ فيها، بل هو نتاج أيضا لروح النبي محمد بكل محدودياته البشرية. هذه الفكرة ليست جديدة، حسب سروش، لأن مفكرين عديدين في القرون الوسطى لحوا إلى ذلك من قبل.

وللنبي أيضا طريقة أخرى ليكون هو خالق الوحي. ما يتلقاه من الله هو جوهر القرآن. إلا إن هذا الجوهر لا يمكن أن يُعرض على الناس هكذا لأنه يتجاوز فهمهم، بل ويتجاوز أي تواصل إنساني. ليس لهذا الجوهر أي شكل ومن واجب النبي إعطاؤه شكلا لأجل أن يُصبح قابلا للفهم. ومثله مثل الشاعر، فالنبي يعكس الإلهام في شكل اللغة التي يعرفها، والأساليب التي يتقنها والصور والمعارف المتاحة لديه. و تلعب شخصيته أيضا دورا في تشكيل النص: تاريخه الشخصي، وشبابه، وأبوه، وأمه وكل ما عايشه من تجارب. ولمزاجه دور أيضا. فإذا قرأت القرآن تلاحظ أن النبي يكون أحيانا حاد المزاج وبلغ اللسان، بينما ينتابه في أوقات أخرى قليل من الملل وتكون حماسه أقل. كان لكل هذه الأمور دور هام في تشكيل القرآن. وهذا هو الجانب الإنساني البحث في مسألة الوحي'.

و يقول سيروش أنا لا أعتقد أنّ النبي كان يتحدث "لغة عصره" بينما كان يعرف أفضل من ذلك. إنه كان يؤمن بما يقوله. كان ذلك هو ما في علمه وكانت تلك لغته. فهو لم يكن يعرف أكثر بكثير من معاصريه حول الأرض والكون وعلم الوراثة عند الكيان البشري. لم تكن تتوفر لديه المعرفة المتوفرة لدينا الآن. وهذا لا يؤثر في نبوته، لأنه كان نبيا وليس مؤرخا أو عالما²³.

محمد الشرفي (1936-2008) سياسي وجامعي وحقوقى وناشط يساري تونسي يقول إنّ الأصوليين لا يرفضون الدواء الشافي ، و لا الطائفة التي تقلهم ، أو الحاسوب الذي ييسر عليهم حساباتهم و لكنهم يرفضون المنهج العلمي الذي مكن من تلك الاختراعات ، ، ثم إنهم يرحبون باليقين الرياضي ، و لكنهم يرفضون الفكر المرفه الذي هو أساس العلوم الاجتماعية و الإنسانية . و الأصوليون يسلمون مثلا بأنه وجد في الإسلام منذ ثلاثة عشر قرنا تشريع يقضي بقطع يد السارق ، و هذه القاعدة تؤخذ عندهم مأخذ اليقين القاضي بأن $2+2=4$ ، فإذا قلت أن تلك القاعدة

²² نفس المرجع ، ص ص . 24-25.

²³ عبد الكريم سروش و أراؤه المثير للجدل حول القرآن : مقابلة مع مجلة زمزم الهولندية المتخصصة بقضايا العالم الإسلامي، موضوع مطلع عليه على الموقع <http://www.rnw.nl/arabic/article/265034> بتاريخ 11/11/2011.

كانت وضعت تبعا لظروف تاريخية معينة ، فهي بالتالي قابلة للمراجعة اليوم ، أثرت شكاً يجرهم ، واتبعت منهاجاً يستنفر غضبهم ، و أبانت عن حس مرهف بالفوارق يناقض بناهم الذهنية الصلبة المغلقة .²⁴

المعارضون تطبيق مناهج العلوم الإنسانية لتفسير النصوص الدينية :

يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾²⁵ ، و قال سبحانه أيضاً ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾²⁶ إذن فمرجع أي خلاف في ديننا الحنيف هو الكتاب و سنة نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، و المعارضون لتطبيق مناهج العلوم الإنسانية ينطلقون من قول رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَاصَّابَ فَقَدْ أَخْطَأَ "²⁷ و يقول الطبري " و ما كان من تأويل أي القرآن الكريم الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أو بنصيه الدلالة عليه ، فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه ، و إن أصاب الحق فيه ، فمخطئ في ما كان من فعله بقليله فيه برأيه ، لأن إصابته ليست إصابة موقن أنه محق ، و إنما هي إصابة خاوص و ظان ، و القائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم ، و هذا ما ينص عليه الحديث المأثور مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَاصَّابَ فَقَدْ أَخْطَأَ²⁸ .

أما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فإنه يقول فمن يعارض الكتاب و السنة بالعقل ، فإن قوله يكون مشتقا من أقوال هؤلاء الضلال ، و هؤلاء الذين يعارضون الكتاب و السنة بما يسمونه عقليات من الكلاميات و الفلسفيات و نحو ذلك ، إنما يبنون أمرهم في ذلك على أقوال مشتبهة بمجملة ، تحتل معاني متعددة ، يكون ما فيها من الاشتباه لفظا و معنى يوجب تناوُلها لحق و باطل ، فيما فيها من الحق يقبل ما فيها من الباطل ، لأجل الاشتباه و الالتباس ، ثم يعارضون بما فيها من الباطل نصوص الأنبياء [...] و هذا منشأ ضلال من ضل من الأمم قبلنا ، و هو منشأ البدع لهذا ليست البدعة في مجرد الحدوث ، سواء كان الحدوث لفظا أو شيئا ، و إنما هي في فساد المعنى الذي يشتمل عليه الحدوث ، فعلم الكلام ، مثلا ، لم يذمه الأئمة (لحدوث ألفاظه) بل ذممه لإشتماله على معان باطلة مخالفة للكتاب و السنة [...] و كل ما خالف الكتاب و السنة فهو باطل قطعاً ، ذلك أن المعاني الصحيحة ثابتة فيهما²⁹ .

و لطرح آراء بعض الشيعة المعارضين لتطبيق منهج العلوم الإنسانية لإدراك النصوص الدينية أعرض قول المرجع الديني الشيخ حسن البلوشي (الكويتي) الذي يقول " إن القرآن له منهجه الخاص به ، وإذا أردنا أن نخضعه للمناهج والأساليب

²⁴ محمد الشرنبي : الإسلام و الحرية - سوء التفاهم التاريخي ، دار بتر للنشر و التوزيع ، دمشق ، سوريا ، 2008. ص 213.

²⁵ سورة النساء ، الآية 59.

²⁶ سورة آل عمران ، الآيتان 31 و 32.

²⁷ جامع الترمذي ، رقم الحديث: 2896

²⁸ أدونيس : الثابت و المتحول - بحث في الإبداع و الابتداع عند العرب ، ج 1 ، دار الساقى ، ط 7 ، بيروت ، لبنان ، 1994. ص 16.

²⁹ نفس المرجع ، ص ص 17-18.

البشرية فمعناه أننا أفسدناه، وجعلناه شيئاً بشرياً، لأن هذه المناهج متأثرة بشكل أو بآخر بظروف ومحيط، لذلك ترى انه منذ أن نزل القرآن الكريم حاولت بعض النظريات المختلفة أن تخترق جدار القرآن الكريم فلم تفلح. حاولوا أن يضعوه في قوالب منطق أرسطو ففشلوا!، وفي مناهج المنطق التجريبي ففشلوا أيضاً. وهذه القراءات الجديدة أو المناهج - كما أسميتوها- ، رداً على محاوره ، وغيرها هي الأخرى مصيرها الفشل. لماذا؟ لأن جنس القرآن أو عنصره أو ذاته ليس أرضياً حتى يخضع للقوانين الأرضية [...] فالقرآن له منهجه الخاص به، وإذا أردنا أن نخضعه للمناهج والأساليب البشرية فمعناه أننا أفسدناه، وجعلناه شيئاً بشرياً ، وهذه القراءات الجديدة أو المناهج ، وغيرها هي الأخرى مصيرها الفشل. لماذا؟ لأن جنس القرآن أو عنصره أو ذاته ليس أرضياً حتى يخضع للقوانين الأرضية"³⁰.

و يرى المعارضون لتطبيق مناهج العلوم الإنسانية لتفسير النصوص الدينية أن ما ذهب إليه أنصار حركة التفسير "الكتابي" -نسبة إلى الكتب المقدسة عند اليهود والمسيحيين- التي عرفها الغرب منذ أواخر القرن السابع عشر بالخصوص، والتي كانت أبرز ملامحها متمثلة في استقلالها عن علم اللاهوت، واعتمادها منهجاً نقدياً في تناول النصوص المقدسة لا يمكن تطبيقها لدراسة النصوص الدينية في الإسلام ، و يرون أنه بدلاً من الهجوم السافر على الإسلام عقيدة وشريعة بالطعن الصريح، والوصف القبيح بالرجعية، والجمود، والظلامية، والتخلف، هذا الهجوم الذي استمر عقوداً، ولم يؤت أكله، ولم يثبت جدواه في صد الناس وتغييرهم كلية من دينهم؛ لجأ بعض المؤولين إلى أسلوب آخر أشد فتكاً ولكن أقل إثارة لمشاعر المسلمين، وذلك بانتهاج سياسة الهدم من الداخل وتقويض المفاهيم والمسلمات الدينية، والتشكيك في الأسس التي قام عليها الإسلام وشريعته ، وهذه المرة ليسوا بصفتهم أعداء ينقدون، و يطعنون من خندق مواجهه، بل تزوّوا بزي الإسلام، واستخدموا أسلحته، ورفعوا شعاراته، فنادوا بضرورة تجديد الدين وعصرنته، وضرورة نقد التراث وغربلته، وإعادة بناء الثقافة وفق أسس عصرية ، تحت عباءة التجديد والعصرنة والقراءة المعاصرة للتراث.

و بعد عرض حجج المعارضين لتطبيق مناهج العلوم الإنسانية لإدراك النصوص الدينية نقدم نقد مباشر لأراء محمد أركون الذي يعتبر أحد أقطاب المؤيدين كما سبق و أن رأينا .

نقد أفكار محمد أركون : إن فكر محمد أركون بصفة عامة ، واستخدامه لمناهج العلوم الاجتماعية الحديثة بصفة خاصة كانت محل نقد و طعن من طرف العديد من الباحثين و المختصين فالدكتور خالد كبير علال في مؤلفه الموسوم "الأخطاء التاريخية و المنهجية في مؤلفات محمد أركون و محمد عابد الجابري " يقول عن المبالغات التي يرى أن محمد أركون وقع فيها " كثرة ترديده بأنه يستخدم مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة ، في مؤلفاته ، كالمناهج السيميائي الدلالي ، و المنهج التحليلي التفكيكي ، و منهج التاريخية. و هو قد طبق هذه المناهج في مؤلفاته على ما ذكره" و يعلق خالد كبير علال على استخدام محمد أركون لهذه المناهج ، وفقاً لوجهة نظره بالقول " فتبين لي أنها لم توصله-في الغالب- إلا إلى الأوهام و الظنون و الأباطيل ، من ذلك أنه طبق منهج التاريخية على تاريخ القرآن الكريم ، فجاء بالطامات و الأباطيل . و

³⁰ إشكاليات القراءة المعاصرة للنص الديني - حوار مع المرجع المدرسي الشيخ حسن البلوشي ، أطلع عليه على الموقع

طبق المنهج السيميائي على سورة التوبة فلم يأت بشيء جديد صحيح ، و لا بأمر له قيمة كبيرة ؛ بل جاءت دراسة عادية تخللتها أخطاء ، كوصفه لله تعالى بالبطل المعجّر.³¹

كما ينتقد خالد كبير علال مدح أركون للمستشرقين بزعمه ، على حد قول كبير علال ، أن كتب الباحثين الرواد من المستشرقين ساهمت بشكل علمي في تقدم الدراسات القرآنية ، و ((تقدم معرفتنا العلمية بالقرآن)) . و قوله هذا اعتراف منه بأن كتب المستشرقين هي الكتب العلمية الهامة عنده ، و هذا زعم باطل مردود عليه ، لأن المعرفة الصحيحة بالقرآن لا نجدّها في مؤلفات المستشرقين و تلامذتهم ، و إنما نجدّها في القرآن نفسه أولا ، لأنه يحمل تاريخه في ذاته . و نجدّها أيضا في السنة النبوية الصحيحة الموافقة له ثانيا ، و في التراث الإسلامي الصحيح ثالثا .³²

أما عن مخالفة أركون للمستشرقين في بعض الأحيان فإن خالد كبير يعلق على ذلك قائلا " إنه، أي أركون، كثيرا ما يُوجه انتقادات للمستشرقين في تعاملهم مع الإسلام ، منهجا و تطبيقا ، مما يُوهّم بأنه يُخالفهم مخالفة جذرية منهجا و تطبيقا ، و هذا مجرد وهم ، و تضليل ، و تغليط ، لأن أركون كثير المدح للمستشرقين و الالتزام بمنهجهم ، و الاعتماد على تراثهم ، و أما انتقاداته للمستشرقين ، فبعضها انتقادات شكلية سطحية ، و بعضها الآخر انتقادات مشبوهة مأكرة .³³

أما المصطلحات العلمية التي استقاها أركون من مختلف العلوم الإنسانية فإن خالد كبير يرى أنها مجرد مصطلحات علمية جوفاء بلا ضرورة إذ يقول " قد استخدم جهازا مفهوما مصطلحيا متنوعا و ثقيلا ، جرّه معه في مؤلفاته ، و اتعب به القراء ، و مترجم أعماله ، من ذلك قوله : ((إن الأسطورة و الميثولوجيا ، و الطقس الشعائري ، و الرأس مال الرمزي ، و العلامة اللغوية و البنى الأولية للدلالة ، و المعنى و الحجاز ، و إنتاج المعنى ، وفق السرد القصصي ، و التاريخية و الوعي و اللاوعي ، و المخيال الاجتماعي ، و التصور و نظام الإيمان و اللاإيمان ، كل ذلك يُمثل مصطلحات يُعاد بلورتها و تجديدها ، دون توقف من خلال البحث العلمي المعاصر)) . هذه المصطلحات و غيرها ، هي كثيرة جدا في مصنفات أركون ، فكان يجرها معه من غير ضرورة ، و بإمكانه الاستغناء عنها ، و لا مبرر لها إلا التعالم و التعاضم ، و التشويش على القارئ والتسلط على أفكاره ، و هي في حقيقتها مصطلحات جوفاء ثقيلة و هزيلة - في الغالب الأعم - ، فقيرة من حيث المعاني.³⁴

و لقد أشار خالد كبير علال إلى تأثر أركون الكبير بالمستشرقين الذين يقوم منهجهم على أسس علمية ، حسب وجهة نظر أركون ، حيث نجدّه يقول إن منهج المستشرقين في تعاملهم مع الإسلام - قرآنا و سنة - يقوم أساسا على الأكاذيب و الظنون و الأهواء ، و الشكوك و الشبهات ، و هي أصول لا تمت إلى العلم ، و لا إلى اليقين بصلة ، فهم ياتباعهم لهذا المنهج الباطل المعوج ، وجدوا فيه طريقا لحدود نبوة محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، و الطعن في القرآن الكريم ، و هم

³¹ خالد كبير علال : الأخطاء التاريخية و المنهجية في مؤلفات محمد أركون و محمد عابد الجابري - دراسة نقدية تحليلية هادفة ، دار المحتسب ، ط 1 ، الجزائر ، 2008 ، ص 11

³³ نفس المرجع ، ص 9.

³⁴ نفس المرجع ، ص ص 10-11 .

الذين يصدق عليهم قوله تعالى : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴾³⁵ ، و ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾³⁶ . و أفكارهم هذه قد تبناها تلميذهم الوفي أركون ، على حد قولهم خالد كبير ، و نشرها في مؤلفاته بحماس و غرور .³⁷

النظرة الوسط لإستخدام مناهج العلوم الإنسانية لتفسير النصوص الدينية :

لعل أفضل ما أبدأ به هذا العنصر هو قول فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي "لا نزع من كل ما في تلك المناهج و ما قبلها خطأ جانب الصواب أو ضال انحرف عن جادة الطريق ، و إنما نقول أن فيها صوابا و فيها خطأ و فيها حقا و فيها ضلالا"³⁸ . إذن ما هو السبيل لإتباع مناهج تأخذنا للصواب و تبعدنا عن الانحراف و الضلال ؟ ، يقول شوقي أبوخليل أنّ إدراك و تفسير النصوص الدينية يكون وفقا لمنهج و صفه بالمنهج العلمي المحايد و هو يرى أن هذا المنهج قائم على أساس علمي دقيق ، و هو فن حيادي مستقل برأسه ، يشكل الميزان الذي لا بد من تحكيمه للربط بين النص و المعنى المراد منه.³⁹ و من المعلوم أن لكل علم من العلوم ولكل فن من الفنون شروطا وضوابط لا بد من أخذها عند الاشتغال به وعند عدم تطبيقها يحصل الخلل ويظهر الانحراف في ذلك العمل العلمي ، وعلم التفسير من أجل العلوم الإسلامية وأهمها وأعظمها شأنًا وفضلاً ؛ فكيف يُعرض عن شروطه الأساسية وقواعده الضرورية التي قررها أهل العلم للوصول إلى مراد الله تعالى على الوجه المطلوب واللائق به ، وهناك شروط وضوابط لتأصيل المنهج الصحيح ووضع الطريق المستقيم لتفسير القرآن الكريم يجب توفيرها ولا يجوز إهمالها وإهدارها بحال من الأحوال ، منها ما يتعلق بطريقة التفسير ومنهجه الذي يلزم السير عليه ، ومنها ما يتعلق بأوصاف المفسر العلمية والعقدية.⁴⁰

إذن فهناك تيار ثالث يرى أنه لا حرج في تطبيق مناهج العلوم الإنسانية في إدراك النصوص الدينية شريطة الإلزام بجملة من الضوابط لعل من أبرزها التقيد بضوابط التفسير و التخصص في العلوم الشرعية ، و في هذا السياق يحذر فضيلة الشيخ القرضاوي من خطر تمكين الفئات اللادينية لتساهم في توجيه المرحلة القادمة للأمة ، بترويج فكرها المستورد ، و مفاهيمها الدخيلة ، تحت عنوان التجديد و التطوير ، و إنما هو التبديد و التخريب . و يواصل القول بأنه يخشى من تيارين كلاهما أشد خطرا من الآخر :⁴¹

³⁵ سورة النجم ، الآية 23.

³⁶ سورة آل عمران ، الآية 71.

³⁷ خالد كبير علال ، مرجع سبق ذكره ، ص 30.

³⁸ فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، مرجع سابق ، ص 9.

³⁹ شوقي أبو خليل : قراءة علمية للقراءات المعاصرة ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، 1411=1990 ، ص 9

⁴⁰ محمد الدسوقي ، نهج البحث في العلوم الإسلامية، نشر دار الثقافة ، ط2 ، الدوحة ، قطر ، 1424هـ=2003م ، ص ص 225

— 228 .

⁴¹ يوسف القرضاوي : خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ، دار الشروق ، ط1 ، القاهرة ، مصر ، 1424=2004 ، ص 11.

1- تيار الغلو و التشدد و التنطع، الذي يريد أن يضيق على الأمة ما وسع الله . و يعسر عليها ما يسر الله ، و إن يعادي العالم كله ، و يقاتل الناس جميعا ، ولو سالموا المسلمين ، و لا يتسامح مع مخالف له ، مسلما أو غير مسلم .

2- و تيار الانفلات و التسيب، الذي اتخذ إلهه هواه ، فلا يرجع إلى الأصل ، و لا يتقيد بنص ، ولا يستند إلى إمام معتبر . إنه رفض إتباع أئمة الإسلام ، و رضى بتقليد أئمة الغرب ، فمنهم يستمد ، وعليهم يعتمد و بهم يصول و يجول !

لهذا فإنه يتوجب على أهل العلم و الدعوة، و خصوصا دعاة المنهج الوسطي أن يقولوا كلمتهم ، و يبينوا وجهتهم ، ويشرحوا رسالتهم ، في خضم هذه الفتن المتلاحقة التي تذر الحليم حيران ، وفي هذا الجو الرهيب الذي يحاط فيه بالأمة من كل جانب .

الخاتمة :

إن المحاولات الفكرية الحديثة في إدراك النصوص الدينية في ضوء مناهج العلوم الإنسانية هي استجابة للتحدي الحضاري الذي فرضه الصدام مع الحضارة الغربية بمقولاتها ومنتجاتها الفكرية والاجتماعية والسياسية التي تحولت إلى مكون رئيس من مكونات فكرنا العربي الحديث ، و لهذا فإننا نعتقد أن أهل العلم مطالبون اليوم أكثر من أي وقت أن يكونوا السراج الذي ينير الدرب ، للوقوف في وجه أي محاولات تستهدف النيل من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

و القراءة المتأنية لهذه الورقة تبين أن المفكرين الذين تم ذكرهم في هذه الورقة كعينة لتيار أصبحت له مكانته في الساحة العربية و الإسلامية لا يمكن وضعهم جميعا في نفس الإطار ، فسروا مثلا نحي منحى جد مبالغ فيه مقارنة بأركون و أبو زيد ، في حين أن أمين الخولي كان أكثر اعتدالا .

لذلك ، فإننا نؤكد ، أنّ محاكمة أفكار الكتاب الدينيين و المفكرين المحدثين المحاولين لإدراك و فهم و تفسير النصوص الدينية لمجرد اعتمادهم على مناهج علمية حديثة ، لم يوظفها العلماء و الفقهاء القدامى هو ظلم لهؤلاء المجددين ، وانغلاق على الفهم و الإدراك السليم لكتاب الله و سنة نبيه الكريم عليه الصلاة و السلام. فإذا التزم هؤلاء المفكرون المحدثون بالضوابط الشرعية للتفسير واعتمدوا على مناهج العلوم الإنسانية بطريقة يكتفون فيها هذه المناهج ، مثلا من خلال أسلمتها ، بحيث يتم توظيفها ليدحضون بها أفكار المستشرقين الذين يتعدون عن الموضوعية ، و لا هم لهم إلا السعي للطعن في رسالة محمد و نبوته عليه الصلاة و السلام يكونون قد قدموا خدمة جليلة لدينهم و لأبناء أمتهم .

المراجع :

- 1- أدونيس : الثابت و المتحول – بحث في الإبداع و الابتداع عند العرب ، ج1 ، دار الساقى ، ط7 ، بيروت ، لبنان ، 1994
- 2- جامع الترمذي.
- 3- خالد عبد الرحمن العك : أصول التفسير وقواعده ، دار النفائس ، ط2 ، بيروت ، 1406=1986.
- 4- خالد كبير علال : الأخطاء التاريخية و المنهجية في مؤلفات محمد أركون و محمد عابد الجابري- دراسة نقدية تحليلية هادفة ، دار المحتسب ، ط1 ، الجزائر ، 2008 .
- 5- طاهر محمود محمد يعقوب : أسباب الخطأ في التفسير – دراسة تأصيلية ، ج1 ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، 1425.
- 6- عائشة عبد الرحمن : التفسير البياني للقرآن الكريم ، ج 1 ، دار المعارف ، ط1 ، القاهرة ، مصر ، 1982 .
- 7- عبد الحليم محمود : التفسير ورجاله لمحمد الفاضل بن عاشور ، الكتاب 13 ، منشورات مجمع البحوث الإسلامية – السنة الثانية ، القاهرة ، 1390=1970.
- 8- فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ج1، ط2، الرياض، السعودية ، 1403=1983.
- 9- محمد أركون : القرآن – من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، ترجمة : هاشم صالح ، دار الطليعة ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، 2005
- 10- محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، دار الفكر ، بيروت ،
- 11- حمد الدسوقي ، نهج البحث في العلوم الإسلامية، نشر دار الثقافة ، ط2 ، الدوحة ، قطر ، 1424=2003،
- 12- حمد الشرفي: الإسلام و الحرية – سوء التفاهم التاريخي ، دار بترا للنشر و التوزيع ، دمشق ، سوريا ، 2008.
- 13- محمد راكان الدغيمي : أساليب البحث العلمي و مصادر الدراسات الإسلامية ، مكتبة الرسالة ، ط2 ، الأردن ، عمان ، 1997 .
- 14- محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، دار المنار ، ط2 ، القاهرة ، 1366=1947.

- 15- حمود اسماعيل، قراءات نقدية في الفكر العربي المعاصر، مصر العربية للنشر والتوزيع ، 1998.
- 16- لموطاً للإمام مالك .
- 17- نصر حامد أبو زيد : نقد الخطاب الديني ، سينا للنشر ، ط2 ، القاهرة ، مصر ، 1994.
- 18- نصر حامد أبو زيد : النص ، السلطة ، الحقيقة — الفكر الديني بين إدارة المعرفة و إدارة الهيمنة ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1995 .
- 19- يوسف القرضاوي : خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ، دار الشروق ، ط1 ، القاهرة ، مصر ، 2004=1424.